

قصر الاخضر ورأى العلامة الأتوسي فيه .

L 'Okheïdhir , ou un château fort du limes mésopotamien.

٦ ماهو قصر الاخضر

على بعد نيف وخمسين كيلومتراً من غربي كربلاء ، او على بعد ١٠٠ كيلومتر من غربي الفرات ، قصر فخم ضخم ، قائم احسن قيام على أسسه المتينة المكيئة ، يسميه العراقيون : « الاخضر » ، مصغر الاخضر ، وهو ذو طبقتين يبلغ طوله ٣٠٠ متر .

واول افرنجي زار هذا القصر زيارة تذكر هو الرحالة نيهير (١) ، ثم زاره بعض سياح الانكليز الا انهم لم يكتبوا عنه شيئاً يستحق التنويه به ، وفي سنة ١٩٠٨ ، تبعه الشاب الذكي ، والمستشرق اللوذعي ، صديقنا لويس ماسنيون ، فكتب عنه في عدة مواطن من المجلات ، من جملتها في « نشرة مشرفة » مجالس ندوة العلماء للرقم وعلوم الادب (٢) ، وفي « المذكرات التي ينشرها اعضاء دارالعلوم الفرنسية » لآثار المشرق ، المقامة في مصر القاهرة ، تحت ادارة المسيو أ . شاسينا ، ثم زارته ، بعد بضعه اشهر من تلك السنة ، الآسة الانكليزية ج . ل . بل G. L. Bell ، ووصفته وصفا مدققاً في كتابها « مراد الى مراده وبالانكليزية Amurath to Amurath » ثم زاره الاديب الفرنسي فيوله في شهر آب من سنة ١٩١٠ ، وكتب عنه مقالاً نفيساً قدمه الى الاديب ديولانوا .

(١) كارستنس نيهير رحالة ديمركي ، ولد في لودنغورث ، ومن اعمال لاوئبرغ ، سنة ١٧٣٣ وتوفي سنة ١٨١٥ ، وقد نبه ذكره برحلته الى ديار العرب ، وكان معه قورسكال وكرامر ويوزنفيد وفان هافن . ودامت تلك الشقة ست سنين . وعند قفوله الى بلاده عين مدير ملدرف ، وكان من المشتركين الاجانب في دارالعلم في فرنسا . وقد ابقى لنا تأليفين مهمين هما : وصف بلاد العرب وقد طبع في كوينهاغ سنة ١٧٧٢ ورحلة الى بلاد العرب وقد طبع سنة ١٧٧٤ — ٧٨ . وقد نقل الى الفرنسية وطبع سنة ١٧٧٣ و١٧٧٦ . وقد كتب ترجمة نيهير ابنه جورج وهو من مشاهير المورخين .

(٢) Louis Massignon. - Le Château d 'al - Okhaider. - Extrait des comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions Belles - Lettres , 1909 . p 202 et Seq.

٢٠٠٠ عصر بناء القصر وبانيه

اختلف العلماء كل الاختلاف في اسم هذا القصر ، وفي بانيه الاول ، وفي القرن الذى بنى فيه . فلهندس الاثرى الاديب ديولافوا Mr. Dieulafoy يذهب الى ان هذا القصر يرتقى الى الربع الاخير من القرن السادس للميلاد ، اى قبيل العصر الاسلامى . والذي يحدوه الى هذا الرأى هو قوله : « ان الريازة (فن البناء) وفن تزويق الابنية كانا قد بلغا اوج الكمال ، منذ عصر سامراء ، ومن ثم يتضح ان كل بناء عظيم لا ترى فيه الريازة الا فى نسبتها او فى نشوتها ، فهو على الارجح سابق الاسلام كقصر الاخضر فى العراق . »

اما الآنسة « بل » فاتها لا ترى هذا الرأى ، بل تذهب الى ان هذا القصر اقيم فى الصدر الاول الاسلام .

ووافقها على هذا الفكر الاديب فيوله المذكور ، وهو اليوم راس مهندسى الولاية ، قال : « لقد تحققت كل التحقق ان هذا القصر اسلامى كل الاسلام ، وهذا ما يظهر من الاساليب والذرائع المتخذة لتشييده . وقد زاد يقينى هذا كل الزيادة ، لما نبشت فى الارض نبشاً زهيداً بواسطة المول ؛ وللحال وقعت على محراب فى وسط الحائط الجنوبى وهو حائط بهو عظيم ، سمته الآنسة « بل » (وقد صدقت تسميتها) بالمسجد . ولو فرضنا اننا لم نعر على هذا المحراب ، فان استقرات الاديب ديولافوا ، لا تقضى الى نتيجة تؤيد ان قصر الاخضر هو غير اسلامى ، ولو انه تفرغ كل التفرغ لانعام النظر فى البحت الذى انشأه فى هذا الصدد . لان الريازة وفن تزويق البناء عند المسلمين ، لم يبلغا طور الكمال فى سامراء ، بل كانا فى حال التكون بامتزاج امشاج اطرار الابنية المختلفة التى تآصرت فيما بينها وتآخت . وهذا الامر من اثبت الامور ، لان التشابك entrelaces لم يكن له بعد وجود عندهم . ولو فرضنا ان طرز البناء الاسلامى بلغ قراره فى سامراء ، فهذا لا يدل على ما يبين لى ، ان الاخضر يستند الى العصر السابق الاسلام ، لان تراويقه البنائية هى فى غاية النشوء ، وهى فيه بعد كالجنيين فى رجم امه . نعم قد يتوهم ان غاشية الجص التى كانت تغطى دواخل الخيطان زيناتها ، قد سقطت عنها على تراخي استار الايام على هذا القصر

الشيء البناء ، لكن قد يحتمل ايضا انها لم تكن ، لسبب ان هذا القصر قديمي ، على ما يظهر ، بناءً حديثاً ليكون مصيفاً لصاحبه ، لان مواد بنائه رديئة (وهي احجار وحصى او جنادل مفرقة في ملاط) فيكون هذا البناء من الجنس المعروف باسم حشو الاشكنج (١) Blocaille ، ولا يحتمل ان يكون مقاماً مزيناً بتزاويق البناء ، كما هو الامر في قصور الخلفاء من قصور سامراء او بغداد . اه . كلام الاديب في قوله .

واما الاديب لويس ماسنيون ، فانه لم يبت امراً في ما يتعلق ببنائه ، وعهد بنائه ، بل يميل الى القول بان هذا القصر ان لم يكن الخورنق او السدير ، فلا يبعد من ان يكون القصر ، ذا الشرفات من سندان ، الذي يقول فيه الأسود بن يعفر :

ماذا اومل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد اباد
اهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سندان
واما استاذنا ، حضرة الشيخ العلامة السيد محمود شكرى افندي الآلوى ، فانه يذهب الى ان هذا البناء شيد في صدر الاسلام ، في عهد عمر بن الخطاب في نحو سنة ٦٣٥ للمسيح ، اى في السنة الثانية من خلافة عمر وقد بناء اكيدر الملك السكونى الكندى ، فسبى باسمه ، ثم صحفه العوام هذه الكلمة بان جعلوا الكاف (٢) ، خاءً والدال ضاداً (٣) كما هو معروف في لسانهم فقالوا فيه : قصر الاخضر ، وانما هو قصر الاكيدر .

ومما يثبت هذا الراى ما ذكره ياقوت في معجمه ، قال في مادة دومة الجندل :

(١) الاشكنج عند اهل العراق صفار الاجر والحجارة او كسرهما يتخذها البنائون حشواً للبناء ولما فيه من الفراغ ويتخذ ايضا لرصف الطرق وقوارعها . والكلمة قديمة في العراق فارسية الاصل ، وقد استعملها الجاحظ في كتاباته ، منها في كتاب البغلاء ص ١٢١ في قوله : « وما كان من اشكنج فهو مجموع لبناء » اه وبسبب الشاعرون الاشكنج بالدينش يفتح فسكون . (لغة العرب)
(٢) مثل اخبن من تربك واكبن (المزهر ١ : ٢٢٧) والكذب والحذب (اللغويون)

(٣) مثل نهض نهض - وناهض وناهض . والدرس والضرس . (اللغويون)

« ان النبي (صلم) صالحا كيدر على دومه، وامنه، وقرر عليه، وعلى اهله الجزية، وكان نصرانياً، فسلم اخوه حريث فاقره النبي (صلم) على ما في يده، ونقض اكيدر الصلح بعد النبي (صلم) فاجلاه عمر (رضه) من دومه، في من اجلى من مخالقي دين الاسلام الى الحيرة، فنزل في موضع منها قارب عين التمر، وبني به منازل وسماها : « دومه » . وقيل « دوما » باسم حصنه بوادي القرى، فهو قائم يعرف، الا انه خراب . . اه .

فقصر الاكيدر اذاً هو بناء نصراني بناء صاحبه على عجلة بعد ان اجلى عن حصنه بوادي القرى . وهو قريب من عين التمر وليس حصن هناك قريباً من هذه المدينة قرب قصر الاكيدر منها .

واما وجود المحراب في حائط الجنوب، فيعمل بان المسلمين الذين احتلوا القصر بعد صاحبه، اقاموا فيه محراباً، فبأبشع ماثر الدين، كما هي عادتهم في قصورهم وحصونهم الكبيرة ولا سيما اذا بنيت بعيدة عن جامع او مسجد، كما هو الامر في بادية مثل هذه البادية التي شيد فيها قصر الاخضر او الاكيدر .

٣ سبب تسمية هذا القصر بالاخضر

قدمر بك ان الاخضر سمي كذلك من تصحيف العوام للفظه الاكيدر ليس الا . واما الذين لم يقفوا على هذه الحقيقة المقررة، فقد ذهبوا في هذه اللفظة ومناسبتها لهذا الحصن مذاهب شتى، منها :

١ : انما سمي كذلك، لان الاخضر تصغير الاخضر، وقد اتته الحضرة من عين هناك يبيض منها الماء بضاً، فبذبت حول القصر عشب، يحسن منظر القصر في عين الزائر، او تنمو في فصل الامطار خضرة على حيطانه القديمة، فيظهر كأنه البس ثوباً من سندس او استبرق . - وقيل : لان ارض الحصن خصبة والخشب ينبت بالاخضر، لان الحضرة هي من اسباب الخصب . ومنه قول العرب : « هم خضر المناكب » اي في خصب عظيم . ومنه : هم خضر المربع . ومنه قول الشيخ صفي الدين الحلي :

اما لقوم ابث اخلاقاً شرفاً ان يبتدى بالاذى من ليس يؤذينا
يبض منا مناسك سود وقائنا خضر مرايا منا حمر مواضينا

— وقيل : اُسمى بالاخضر لان هناك ذباباً يعرف بهذا الاسم وهو يكثر فيه في ابلان الربيع وهو بقدر الذباب الاسود المتوسط الكبير ، وقد يؤذى الدواب والناس .

٢ . ذهب بعضهم الى ان اصل هذه التسمية : (تسمية الاخضر) ، ترتقى الى سنة ٣١٠ هـ . وذلك ان ابن سيرين ذكر في تاريخه قال : وفيها (اى فى سنة ٣١٠ هـ - ٢٩٢٢ م) انتقل اهل قران من اليمامة الى البصرة لحيف لحقهم من ابن الاخضر فى مقاسماتهم وجذب ارضهم ، فلما انتهى امرهم الى اهل البصرة سعى ابو الحسن احمد بن الحسين بن المتقى فى مال جمع لهم ففروا به على الشخصوس الى البصرة ، فدخلوا على حال سيئة ، فامر لهم سبك امير البصرة ، بكسوة ونزلوا بالمسامة محلة بها . اهـ .

وقال المسعودى فى كتابه التقييد والاشراف ص ٣٨١ بخصوص الاخضر ما هذا نصه :

... ثم مسيره (مسير ابي طاهر سلمان بن الحسن بن بهرام الجنابى ، صاحب البحرين ، فى سنة ٣١٣ هـ - ٩٢٥ م) عن الكوفة الى الاحساء بالذرية والثقله وتسلميه البلد الى اسماعيل بن يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بالاخضر ، صاحب اليمامة ، ابن ابراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن على بن ابي طالب ومسير ابي القاسم يوسف بن ابي الساج عن واسط فى عساكره للقائه ، وكان السلطان اشخصه عما كان يليه من الاعمال من بلاد آذربيجان ، وارمينه ، واران ، واليلقان ، وغيرها ، ليستعد من واسط ، وينفذ الى بلاد البحرين ، وكان مقيماً بواسط مستعداً ، الى ان جاء الخبر بمسير صاحب البحرين الى الكوفة ، فخرج مبادراً له فسبقه ابو طاهر اليها ، ونزل الموضع المعروف بالخورنق وحازها ، ونزل ابن ابي الساج فى اليوم الثانى بالقرب منه ، فى الموضع المعروف بين النهرين ، مما على القرية المعروفة « بحروراء » ، والى اضيقت « الحروية » ، من الحوارج ، وابوطاهر بينه وبين الكوفة ، فكانت الوقعة بينهم يوم السبت لتسع خلون من شوال سنة ٣١٥ هـ (اى فى ٩ من ١ من سنة ٩٢٧ م) . اهـ المقصود من ايراده . وعليه فالمراد بالاخضر ، الخورنق . وسمى الخورنق بالاخضر لانه نزل

فيه قاضيف اليه منذ ذاك اليوم، وخل اسم الخورنق الفارسي الاصل، الثقيل على لسان العربي .

٣ . وقال المستشرق الاديب لويس ماسنيون : « وهناك رجم آخر وهو غير محتمل لما بين اللفظين من البعد (١) ان « الاخضر مأخوذ من « الاكيدر » ، صاحب دومة الجندل الكندي الذي ارتد الى النصرانية (٢) بعد وفاة النبي ، وكان لهذا الملك حصنان : الواحد في دومة الحيرة (وهو في الواقع قريب من عين التمر) ، والآخر في دومة الجندل ، وقد ذكره ياقوت (في ٢ : ٦٢٦) في قوله : « وفي داخل السور حصن منيع يقال له مارد وهو حصن « اكيدر » ، الا ان هذا الرأي هو رجم محض ، وموقع دومة الجندل على بعد اربع ليال من تيماء بين المدينة والشام ؟ يحمل هذا الرأي بعيد التمسك به لاسباب القول بأنه قصر دومة الجندل . » اه كلامه .

قلنا : نعم ، ان القول بان حصن الاكيدر هو الذي كان له في دومة الجندل من وادي القرى بعيد الاحتمال ، لكن القول بأنه الحصن الذي كان له في دومة الحيرة قريب ، ولا قرب جبل الوريد . كيف لا وقد قال عنه ياقوت انه قرب عين التمر وهو قائم يعرف الا انه خراب . وهو كلام يصدق على الاخضر الى يومنا هذا .

٤ . ذهب بعض الادباء الى ان الاخضر هو ترجمة لفظه « السدير » القديمة ، لان هذه الكلمة تعني المشب وكذلك الاخضر ، وربما كان هذان الحرفان متماورين منذ البدء ، ثم قتل الواحد الآخر لسهولة حفظه ، وقرب معناه من الافهام ، ولا شك ان معنى السدير للقصر النعماني المشهور هو بالفارسية ذوالبيوت الثلاثة (سهدير) ؛ الا ان العرب تركوا المعنى الاجنبي ، وتمسكوا بالمعنى العربي حبساً

(١) قد مر بك ان تقارب هذين اللفظين غير بعيد في العربية ، والتصحيح ممكن ، بل ظاهر ، لان اعراب البادية لا يفهمون معنى الاكيدر ، بخلاف الاخضر فانه اوضح معنى لهم ، ولهذا صحفوه .

(٢) لم يتفق المؤرخون على اسلام الاكيدر . فبهم من انكروه ومنهم من ائجه . وعلى كل حال ، فان كان قد اسلم فقد ارتد بعد ذلك الى النصرانية .

بلغتهم، ومما فيها وكرهاً للاجاج . ونحن نرى ان هذا الرأي قطير، بل في منتهى القطر .

وهناك غير هذا الآراء . وكلها فائقة، وقد اجتزأنا بما ذكرناه لشهرتها، ولعرضها على القراء الكرام .

٤ . موقع قصر الاكيدر الحربي والسياسي

قال صديقنا الفاضل لويس ماسنيون في كتابه : « بعثة في العراق » ص ٢ ما هذا تمريبه : « ان موقع الاخيضر من احسن المواقع، واجلها لبناء حصن هناك .

« وذلك لانه في وسط نوع من الحلقة عظيمة القطر، يحفظها القرات خطأ بديعاً، على ابعاد متساوية، او تكاد تكون كذلك، من هيت، والانباء، وبابل، والحيرة، فوقعه اذ آمن اجل المواقع الحربية . فهو يحافظ احسن المحافظة على صقع واقع على نهر البادية . وكان مسبقاً احسن السقي، لان الاقدمين كانوا قد حفروا في ارضه انهرأ، تأتيا من الفرات، وتخرقها خرقاً كما يشق اليوم نهر الحسينية جوار كربلاء منذ القرن العاشر قريباً من رزاة . وهناك كان ايضاً بطائح تأتي مياهها من الفرات وتدفع فيها وفي البادية بعد ان تسقي الاراضي المزروعة، ولهذا كان يطوف بها الادغال والآجام الكثيرة الطير والصيد (وهذه ايضاً احدونه ما يروى عن الخورنق وكان ملقى الصيادين وموعدهم) .

« والى اليوم ترى آثار الزراعة وبقايا عقيق النهر القديم الجامع بين هيت والابله، وهي ظاهرة كل الظهور بين كربلاء والاخيضر .

وماعدا ذلك كان يمكن لاصحاب ذلك القصر او الحصن المنيع ان يقبضوا على الدمار وقطاع الطرق الذين يأتون من ديار نجد او من انحاء بلاد الشام، قبل ان يتوغلوا في الارضين المزروعة او العامرة ويعينوا فيها . « ام كلام صديقنا .

٥ . موقعه السياسي الحالي .

« الاخيضر هو منتهى قيم مقامية رزاة، الراجع امرها الى فهد بك، من المنزة ، وآخر حدود مديرية شقفا (التي يسميها البعض شانة والبعض الاخر من الترك او من المتركين شقافية والاصح ما اوردها كاوردت في ياقوت في مادة

عين التمر ٣ : ٧٥٩) . وزعم فهد بك ان هذا القصر له . ومدير شقانا قد استخلص عين الماء المجاورة له ، وهي العين الوحيدة الموجودة في تلك الانحاء ، والتي ينخلو ماؤها من مادة كبريتية . (عن المذكور ص ٢)

نقد كتاب تاريخ آداب اللغة العربية

لجرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال . (تلو)

Observations critiques sur l'Histoire de la Littérature arabe

de M. Georges Zeidân

١ . اوهامه في الآراء

في تأليف جرجي افندي زيدان ، من المزايا الخاصة به ، ما لا تكاد تراه في غيرها . ومن جملة هذه المحاسن انه يهيئ لك موضوع الفصل التالي للفصل الذي تطلعه ، حتى انك تقول في نفسك : « هذا لا بد منه » . وعلى هذا الوجه تتصل الفصول وتأخذ بعضها برقاب بعض حتى تقضى العجب من هذا التداخل العجيب والالتحام البديع . وكثيراً ما اتفق لي اني بدأت بتصفح كتاب من كتبه ، فلم اقدر ان اقيه من يدي الى ان آيت على اخره . كأن الكتاب اصبح شيئاً من ضرائر حياتي في ذلك النهار ولم يمكنني ان استقني عنه .

ومهما يكن من اعجابي بالمواف ، وشغفي بمطالعة اسفاره ، فاني ارى فيها بعض الامور التي كنت اود ان تكون منزهة عنها . ومن جملة هذه الشوائب انتقاله من وهم الى حقيقة ، ومن حقيقة الى وهم ، بعد ادماج عبارة يوم هذا الانتقال اتم الابهام ، مثال ذلك : انه قال في الصفحة الاولى من مقدمته (وهي ص ٣ من الكتاب) ما هذا نصه بحرفه :

« اما العرب فالمشهور انهم لم يؤلفوا في تاريخ آداب لسانهم . والحقيقة انهم سبق الالم الى التأليف في هذا الموضوع مثل سبقهم في غيره من المواضيع (كذا) . » ثم ازاد ان يؤيد هذا الرأي بدليل تاريخي نقلي صريح ، فقال : « فان في تراجم الرجال كثيراً من هذا التاريخ لانهم يشفعون الترجمة بما خلفه المترجم من الكتب ويبينون مواضعها وقد يصفونها ... » .